وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت /كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم العلوم التربوية والنفسية
الدراسات العليا / الدكتوراه

علم النفس الإجتماعي

التنشئة الإجتماعية

استاذ المادة

أ. د. سرى أسعد

علاقات التنشئة الاجتماعية

التنشئة الاجتماعية مصطلح لمفهوم يشتمل على عمليات متعددة أهمها (التعلم الاجتماعي – تكوين الأنا – التوافق الاجتماعي – والتثقف أو الانتقال من جيل لآخر).

ويعد مصطلح التنشئة الاجتماعية أكثر مصطلحات التنشئة شيوعاً بين المشتغلين في علم النفس الاجتماعي وأقدمها وجوداً، ومن المصطلحات البديلة لها التطبيع الاجتماعي ومصطلح التطبع الاجتماعي (السيد وعبد الرحمن، 1999: 102).

مفهوم التنشئة الاجتماعية

لقد اتخذ مفهوم التنشئة الاجتماعية مصطلحات وابعاد متنوعة بسبب اختلاف العلوم كل حسب تخصصه ومنظوره كالتعلم الاجتماعي والاندماج الاجتماعي والتطبيع الاجتماعي ولا تخرج هذه التسميات في نظر علماء الاجتماعي في كونها ""عمليات"" والتي يتم من خلالها إعداد الفرد ليأخذ مكانة في الجماعة التي ولد فيها.

فالتنشئة الاجتماعية هي عملية تفاعل يتم عن طريقها تعديل سلوك الشخص بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها. وهي العملية القائمة على التفاعل الاجتماعي التي يكتسب فيها الطفل أساليب ومعايير السلوك والقيم المتعارف عليها في جماعته، بحيث يستطيع أن يعيش فيها ويتعامل مع أعضائها بقدر مناسب من التناسق والنجاح (الختاتنة والنوايسة، 2011: 105).

إن علماء النفس الاجتماعي يستخدمون مصطلح التنشئة الإجتماعية للدلالة على تلك العمليات التي يكتسب الطفل بموجبها العادات والقيم والمعايير والمفاهيم الخاصة بالجماعة، والتي من خلالها يعتمد على نفسه في اشباع حاجاته الفسيولوجية، وبالتالي يدرك معنى المسؤولية، وكيف يتحملها. لكي يتوافق في حياته مع الآخرين، وهذا يعني أنها عملية التشكيل الإجتماعي للشخصية الإنسانية. (الكندري، 1992: 154 – 155).

وعرفت التنشئة الاجتماعية بعدة تعريفات منها:

تعريف حامد عبد السلام زهران: عرفها بأنها عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكتساب الفرد سلوكاً، ومعايير معينة، واتجاهات مناسبة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.

تعريف شريف: بأنها عملية تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي، أن ان الوليد البشري يتحول من كائن تغلب عليه حاجات بيولوجية إلى كائن تغلب عليه حاجات ودوافع اجتماعية (زهران، 1984: 243).

إذن يمكن تعريف التنشئة الاجتماعية على أنها: العملية التي تتشكل فيها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته وسلوكه لكي تتوافق مع تلك التي يعتبرها المجتمع مرغوبة ومستحسنة لدوره الراهن أو المستقبل في المجتمع (الختاتنة والنوايسة، 2011: 105).

عمليات التنشئة الاجتماعية

1-**التعلم الاجتماعي:** يلعب التعلم الاجتماعي دوراً هاماً في عملية التنشئة الاجتماعية، ويختلف دوره عن مجرد النمو الاجتماعي لأن التعلم نمو موجه لإعداد الطفل لمجتمعه الذي ينتمي إليه. ويدل هذا التعلم على ما يكتسبه من عادات وتقاليد وقيم مجتمعه.

ويختلف دور التعلم الاجتماعي في التنشئة الاجتماعية تبعا لإختلاف مراحل النمو، ويصل تأثير هذا التعلم إلى أقصاه في الطفولة وخاصة المبكرة والمتوسطة.

ولذلك تعتمد خطة توطين المهجرين إلى مجتمعات أخرى جديدة غير مجتمعاتهم الأصلية على التعلم الاجتماعي في تنشئة أطفال المهجرين وفق وعادات وتقاليد المجتمعات الجديدة. وكلما تباعدت أنماط الحياة الاجتماعية في المجتمعات الأصلية عن مجتمعات المهجر زادت تبعاً لذلك حدة الصراع بين جيل الآباء والأبناء لأنه في جوهره صراع بين تنشئتين اجتماعيتين مختلفتين.

فإذا سلمنا علمياً أن التعلم هي عملية مستمرة باستمرار الحياة أمكننا ذلك أن نهيئ للكبار أيضاً سبل التعلم الاجتماعي المناسب الذي يساعدهم على إعادة تنشئهم الاجتماعية بالأسلوب يساير نبض المجتمع الجديد وأنماط سلوكه السائدة.

2-**عملية تكوين الأنا والأنا الأعلى:** يتكون الجهاز النفسي من (الهي – الأنا – الأنا الأعلى). والأصل في هذا الجهاز (الهي) وهو الجزء اللاشعوري الذي يولد الفرد وهو مزود به. والهي يحمل خصائص لا خلقية ولا منطقية ويسعى دائماً لتحقيق اللذة، وبه يتميز الفرد كمجرد كائن عضوي عن الشخص كذات اجتماعية.

وعندما يتصل (الهي) بالمجتمع تبدأ عملية تكوين الأنا أو الصيرورة من الفردية إلى الشخصية. وبهذه العملية تبدأ ايضاً التنشئة الاجتماعية. وبذلك تعد عملية تكوين (الأنا) من أهم عمليات التنشئة الاجتماعية.

والأنا يخضع لمبدأ الواقع، ولذا فهو منطقي، فإذا تمكن من تحقيق رغبات (الهي) فهو يحققها في إطار الواقع الذي يفرضه المجتمع القائم بعاداته وتقاليده وقوانينه.

ويشتق الفرد (الأنا الأعلى) سماعياً من أوامر الوالدين ونواهيهم أو تشجيعهم ومكافئتهم، كما تدركها الأنا. وعلى هذا فكإن الأنا الأعلى هو مظهر استمرار قيم وعادات وتقاليد وطقوس المجتمع إلى الأجيال القادمة وهو أساس معايير السلوك الاجتماعي.
وبذلك ترتبط التنشئة الاجتماعية في نشأتها وتطورها بعمليتين رئيسيتين هما عملية تكوين الأنا وعملية تكوين الأنا الأعلى. وبهما يكتسب الفرد عاداته وتقاليده ومعاييره وقيمه.
3-**عملية التوافق الاجتماعي:** يعني التوافق الاجتماعي هو عملية تغيير الفرد لسلوكه ليتسق مع غيره، وذلك بإتباعه للعادات والتقاليد وخضوعه للالتزامات الاجتماعية.
وهذه العملية لا تقتصر فقط على الطفل بل تمتد لحياة الراشد وخاصة عندما يواجه بيئة اجتماعية جديدة، وعندئذ تبدأ عملية التوافق مع تلك البيئة، وبذلك تؤكد عملية التوافق استمرار عملية التنشئة الاجتماعية خلال مراحل الحياة.
4-**عملية التثقف أو الانتقال الثقافي:** عندما تعمل عملية التنشئة الاجتماعية على تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى الشخص ككائن اجتماعي، فإنها في نفس الوقت تنقل ثقافة جيل إلى الجيل الذي يليه أو يعقبه، وذلك عن طريق الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى، وبما أن هذه الثقافة تميز مجتمعاً عن مجتمع آخر، إذن فالتنشئة الاجتماعية من أهم الوسائل التي يحافظ بها المجتمع على خصائصه وعلى استمرار هذه الخصائص عبر الأجيال (السيد وعبد الرحمن، 1999: 105 - 109).

مظاهر التنشئة الاجتماعية

أولا- التعلق: كان مصطلح التبعية هو المصطلح السائد في أبحاث ودراسات التنشئة الاجتماعية، والذي يرجع نشأته إلى موراي (1938) الذي عرّفه على أنه اعتماد الفرد على مساعدة الآخرين إلى الحد الذي يصبح فيه هذا الاعتماد هدفاً يسعى الفرد لتحقيقه.
وبعد نقد بولبي (1958) لمصطلح التبعية واستبداله بمصطلح التعلق. وذلك لأن الأساس النظري للتبعية أساس خاطئ، وإن التعلق يعتمد على مفهوم العلاقات المتبادلة، وإنه كما يتعلق الطفل بأمه فإن الأم أيضاً تتعلق بطفلها.
والتعلق بهذا المعنى ظاهرة سوية، وعندما نصف أفراد جماعة ما بأن كل فرد منهم يتعلق بالفرد الآخر فإننا بذلك نصف تلك الجماعة بالتماسك والألفة والتعاطف. ووجد في كثير من بحوث التنشئة الاجتماعية أن التعلق موجود حتى عند بعض الحيوانات بأمها.
ويعرف التعلق: بأنه السعي للتقرب من شخص آخر والميل للمحافظة على هذا الجوار عندما يتحقق.
وبينت الدراسات أن للتعلق مظاهر وأنماط متعددة تظهر على سلوك الطفل ويمكن ملاحظتها، منها صراخ الطفل عندما يحمله شخص آخر غير أمه مثلاً، أو أنه يبتسم لأمه في تفاعله معها أسرع وأكثر مما يبتسم لغيرها، وكذلك فيما يحدث في المناغاة والتوجه البصري الحركي لها ورفع الذراعين والتصفيق بهما والصراخ عند رحيل الأم وإخفاء الوجه في حجر الأم والالتصاق بها، جميع هذه المظاهر والأنماط تدل على التعلق.
كما اثبتت الدراسان أن التعلق يمر بسلسلة من المراحل المتتابعة، ويستجيب الطفل بصفة خاصة للمثيرات التي تصدر عن الأفراد الآخرين أكثر مما يستجيب للمثيرات التي تصدر عن الأشياء الأخرى فمثلاً يستجيب للمثيرات السمعية التي تصدر عن أصوات الأفراد الآخرين، ويستجيب للمثيرات البصرية التي يشعر بها وهو ينظر لأوجه الناس، ويستجيب للمثيرات اللمسية الحركية التي يحس بها عندما يلمس أجسام الكبار، ومن هذه المثيرات ولاستجابات البسيطة تبدأ عمليات التمييز التي تتطور بعد ذلك إلى مراحل التعلق.
المرحلة الأولى: تستمر هذه المرحلة منذ بدء الحياة إلى ما يقرب الأسبوع الثاني عشر، وتتمثل في التوجه العام للآخرين دون أي تمييز فارق، حيث يتفاعل الطفل مع الآخرين دون أن يفرق في تفاعله بين فرد وآخر.
المرحلة الثانية: تبدأ بعد الأسبوع الثاني عشر وتستمر حتى نهاية الشهر السادس، وتتميز هذه المرحلة بالتوجه نحو شخص بالذات. فيظل اهتمام الطفل بمن حوله كما كان في المرحلة الأولى ولكنه يهتم أكثر بأمه.
المرحلة الثالثة: تبدأ في الشهر السابع من عمر الطفل وتستمر خلال السنة الثانية والثالثة، وتتمثل بمرحلة الجوار من الأم والتقرب لها والاستعانة بها كقاعدة للتحرك منها والعدوة إليها، وبذلك تقوى علاقة الطفل بأمه وتضعف علاقته بالآخرين، فيصيح عندما تبعد عنه ويرحب بها عندما تعود إليه.
المرحلة الرابعة: تبدأ في الغالب في نهاية السنة الثانية وقد تتأخر عند بعض الأطفال، وهي مرحلة تكوين العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وتبدأ بنظرة الطفل إلى أمه على أنها كائن مستقل عنه، ثم يفهم بالتدريج لماذا تقبل عليه ولماذا تبعد عنه، وبذلك يفهم مشاعر أمه ودوافعها فيما تسعى إليه وكيف تحقق لنفسها ما ترجوه، وبذلك تتحقق علاقتها بها إلى علاقة الصاحب.

ثانيا- العدوان:
إنه من الواضح لدى كل إنسان ميول عدوانية، ولكن إذا أصبحت هذه الميول العدوانية سلوكاً مرضياً فإنها تكبت وتتحول إلى الفرد ذاته فيعتدي على نفسه، وقد ينتهي به هذا الاعتداء إلى الإنتحار.
وقد ينسب الفرد العدوان إلى الآخرين ويبرئ نفسه من عدوانه عليهم، وقد يعود الفرد إلى مظاهر غضب الطفولة فينفجر في صيحات وصراخ وكأنه طفل غاضب ويعتدي على ما حوله في بيئته. ومثل هؤلاء الأفراد يسفرون بعدوانهم المرضي عند عجزهم أن يسلكوا بهذا العدوان سلوكاً إيجابياً سوياً متكاملاً مع البناء العام لشخصيته.
ولهذا يعد العدوان من أهم موضوعات التنشئة الاجتماعية، لأن هذه التنشئة من أهم وسائل التحكم في العدوان منذ نشأته الأولى في الطفولة المبكرة، وفي تحديد مساره السوي (السيد وعبد الرحمن، 1999: 110 - 118).

وسائل التنشئة الاجتماعية
أولا- الأسرة: تعد الأسرة الوسيلة والرئيسية للتنشئة الاجتماعية، وهي المسؤولة الأولى عن تنشئة الطفل الاجتماعية (الكندري، 1992: 166).
عن طريق الأسرة وبين أحضان الأم تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية، فيتعلق الطفل بأمه ويطمئن لجوارها ثم تتدرج به الحياة فيمتد بتعلقه إلى أبيه وإخوانه وذويه، ثم يستقل إلى حد ما عن أسرته لينتظم في مدرسته، وتتطور تنشئته الاجتماعية من البيت إلى المجتمع عن طريق تلك المدرسة وذلك عندما يتصل بأقرانه ليصبح معهم عضواً في جماعة النظائر أو لتصبح جماعة النظائر له جماعة مرجعية شأنها في ذلك شأن الأسرة والمدرسة.
كما يتأثر الطفل في تنشئته الاجتماعية بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي لأسرته فيؤثر ذلك المستوى على تحقيق مطالبه (السيد وعبد الرحمن، 1999: 128 - 129).
ثانياً- المدرسة: للمدرسة دور مهم في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، حيث أن كثير من الأشياء التي يتعلمها الطفل وينشأ عليها قد أخذها من المدرسة.
والمدرسة توسع الدائرة الاجتماعية للطفل حيث يلتقي بجماعة جديدة من الرفاق، وفي المدرسة يتعلم الطفل المزيد من المعايير الاجتماعية في شكل منظم ويتعلم أدواراً اجتماعية جديدة، فهو يتعلم الحقوق والواجبات وضبط الانفعالات والتوفيق بين حاجاته وحاجات غيره ويتعلم التعاون والانضباط السلوكي وفي المدرسة يتفاعل الطفل مع مدرسيه كقيادات جديدة وكنماذج سلوكية مثالية، كما ويتأثر بالمنهج الدراسي بمعناه الواسع فيزداد علماً وثقافةً وتنمو شخصيته من كافة جوانبها.

ثالثا- جماعة الرفاق (الجماعة المرجعية): وهي عبارة عن جماعات صغير ينتمي إليها الفرد، وتسمى بعدة تسميات منها جماعة الرفاق أو القرناء أو الصحبة أو الشلة.
وهي تؤثر في معايير الطفل الاجتماعية وتمكن له القيام بأدوار اجتماعية متعددة لا تتيسر له خارجها. فهناك رفاق وأقران يشتركون معاً في مرحلة نمو واحدة ومطالبها وحاجاتها ومظاهرها وينعم الفرد معها بالمساواة.
ويتوقف تأثر الفرد بجماعة الرفاق على درجة ولائه لها ومدى تقبله لمعاييرها وقيمها واتجاهاتها وعلى تماسك هذه الجماعة ونوع التفاعل القائم بين أعضائها.
رابعا- وسائل الاعلام: تؤثر وسائل الاعلام المختلفة من إذاعة وتلفزيون وسينما وصحف ومجلات وكتب واعلانات ....إلخ، بما تنشره وما تقدمه من معلومات وحقائق وأخبار ووقائع وأفكار وآراء لتحيط الناس علماً بموضوعات معينة من السلوك مع إتاحة فرصة الترفيه والترويح.
ومن أهم خصائص وسائل الاعلام التي تبرز أثرها في عملية التنشئة الاجتماعية أنها غير شخصية، وأنها تعكس جوانب متنوعة من الثقافة، وإن أثرها يزداد تعاظماً وأهمية في المجتمع الحديث.
خامسا- دور العبادة: تقوم دور العبادة بدور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية لما تتميز به من خصائص فريدة أهمها احاطتها بهالة من التقديس، وثبات وإيجابية المعايير السلوكية التي تعلمها للأفراد (زهران، 1977: 257 - 265).

المصادر

1- الختاتنة، سامي محسن والنوايسة، فاطمة عبد الرحيم (2011): علم النفس الاجتماعي، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان.

2- زهران، حامد عبد السلام (1984): علم النفس الاجتماعي، ط5، عالم الكتب للنشر، القاهرة.
3- السيد، فؤاد البهي وعبد الرحمن، سعد (1999): علم النفس الاجتماعي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
4- الكندري، أحمد محمد مبارك (1992): علم النفس الأسري، ط2، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت.